آيات الوحدانية في سورة هود وأثرها التربوي

م. م. هناء عباس جواد الشمري
المديرية العامة لتربية بغداد/ الرصافة الثانية
Sadik22sadik@yahoo.com

الملخص:
بيَّن هذا البحث ماهية التَّوحيد، أَنَّ الله تعالى أرسل الرُّسل مبشرين ومنذرين، وهو الخالق العظيم، ومن آيات وحدانيته وقدرته خلق السّموات والأَرض في ستة أيام، عليهِ نتوكل في كل حال مع الأَخذ بالأسباب، فهو السند والملجأ للإنسان المؤمن، وقد أَنزل تعالى القُرآنِ الكَرِيمْ الكتاب الشامل الذي عجز الإنس والجن عن الاتيان بمثلِهِ، والله تعالى الحكيم في تدبيرهِ وتصرفهِ، البصير بعباده فلا تخفى عليهِ خافية، منح الإنسان حُرية الاختيار، إلا أننا جميعاً مرتبطون بهِ ولا نخرج عن حكمهِ.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، القرآن، سورة هود، الإعجاز، الإرادة

Oneness verses in Surat Hood and its educational impact

Hana Abbas Jawad Al-Shammari
General Directorate of Education in Baghdad / Rusafa II

Abstract:

Praise be to God, the One and the End, And blessings and peace be upon our master Muhammad and his family and companions as a whole.

This research has shown what monotheism is, And that God Almighty sent messengers as evangelizers and enlightening, and he is the Great Creator, Among the signs of his oneness and ability to create the heavens and the earth in six days, On him we trust in every case while taking the reasons, for it is the support and refuge for the believer, The Almighty revealed the Noble Qur'an, the comprehensive book that mankind and the jinn were unable to come up with, And God Almighty is the Wise in His management and conduct, the insight of His servants, so they are not hidden from Him, granting man the freedom to choose, except that we are all bound to Him and we do not deviate from His judgment.

Key words: monotheism, the Qur'an, Surat Hood, miracles, will

المقدمة:

إنَّ توحيد الله (ﷻ) بالعبادة هو غاية خلق العالمين، وهو أصل دعوة المُرسلين، فمن أجل هذا التَّوحيد أُرسلت الرُّسل وأنزل الله الكتب، فما من رسولٍ أرسلهُ الله (ﷻ) إلا وكان أصل دعوتهِ التَّوحيد، وهو سبب الأمن في الدنيا والنجاة في الاخرة، وهو شرط لقبول سائر الطَّاعات.

وقد اقتضى البحث أنْ يكون على وفق المنهج الآتي:

- التمهيد.
- المبحث الأوّل: ماهية التَّوحيد.
- المطلب الأول: تعريف التَّوحيد لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: عظمة الخالق (ﷻ) وقدرته.
- المطلب الثالث: أصل دعوة الأنبياء (:) توحيد الله (ﷻ) .
- المطلب الرابع: التَّوكل على الله (ﷻ).
- المبحث الثاني: الثبوت وأدلتهُ.
- المطلب الأول: إعجاز القُرآنِ الكَرِيمْ والتَّحدي.
- المطلب الثاني: حكمة الله تعالى وإحاطته بتدبير الوجود.
- المطلب الثالث: إرادة الله تعالى ومشيئتهِ.
- المطلب الرابع: الله تعالى البصير (ﷻ).

وقد اشتملت خطة الدراسة على الآتي:

مشكلة البحث :

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الاسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالتوحيد؟ وما هو أثرهُ التربوي على المسلم؟

٢- أخبر الله (ﷻ) في القرآن الكريم أنهُ خلق السموات والأرض في ستة أيام، فما المقصود بكلمة (يوم)؟.

٣- ما المقصود بالبعث والمعاد ؟.

٤- ما هو أصل دعوة الأنبياء (:) جميعاً؟.

٥- هل التوكل على الله تعالى يُنافي الأخذ بالأسباب؟.

٦- ما المقصود بإعجاز القرآن الكريم؟ وهل التحدي خاص بقريش فقط؟

٧- ما هو الفرق بين الإرادة والمشيئة؟ وهل يُعد الإنسان مُسيَّر أم مُخيَّر؟

٨- هل أن وصف الله تعالى بـ(السميع) و(البصير) لهُ أثر تربوي لدى المسلم؟.

أهمية البحث:

١- تكمن أهمية البحث في الموضوعات الجليلة التي تضمنتها سورة هود ومنها الآيات الكريمة التي تدل على وحدانية الله تعالى.

٢- بيان ماهية التوحيد، وما لهُ من ثمرات وآثار على صاحبهِ، وبيان أن أصل دعوة الأنبياء (:) التوحيد وأخذ العبرة والعظمة منهم.

٣- ما يحتويه البحث من الآثار التربوية التي تنفع الناس في حياتهم الأُسرية والاجتماعية والدينية.

٤- يُعالج البحث الكثير من المشكلات التي تواجه الناس وبث الأمل في نفوسهم والعودة بهم إلى القرآن الكريم كمنهج للحياة.

٥- حث المجتمع المسلم على التوكل على الله تعالى في جميع الأُمور.

أسباب اختيار البحث:

١- خدمة كتاب الله تعالى من خلال هذه الدراسة.

٢- غفلة كثير من الناس عن معرفة آيات الوحدانية وما تضمنتها من مواضيع كالتوحيد والتوكل وغيرها.

٣- الاقتداء بالأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) في تعديل السلوك السلبي وأخذ الناس إلى منهج الإصلاح.

٤- الوقوف على نقاط الضعف والفساد في مفاهيم الناس ومعتقداتهم والتماس العلاج القرآن لها.

حدود البحث:

إنَّ عنوان هذا البحث (آيات الوحدانية في سورة هود وأثرها التربوي) وهذا يعني إنَّ آيات سورة هود الخاصَّة بالوحدانية هي حدود هذا البحث، مع بيان الأثر التربوي لهذه الآيات.

التمهيد:

التَّوحيد الحقيقي هو سبب النجاة، وهو أول ما يدخل به المسلم للإسلام، وهو حق لله تعالى على عبيدهِ، والإنسان المؤمن يُدرك إنَّ الله تعالى هو الذي يُدبر أمور عباده وحده، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكُن، أحاطت قُدرتهُ بكل شيء، ولا يجري أمرٌ إلا بمشيئتهِ، ومن دلائل وحدانيته خلق السَّموات والأَرض، فإذا تأمل الإنسان في خلق السَّموات والأَرض وما سخرَّهُ تعالى للمخلوقات، استدل على عظيم قدرة الله تعالى، إنَّ الله تعالى حكيمٌ بصير، خلق الإنسان وهيأ له كُل ما ينتفع بهِ في حياته.

ومن آيات الوحدانية التي تضمنتها سورة هود:

١- ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (سورة هود، الآية: ١) .

٢- ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (سورة هود، الآية: ٢).

٣- ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(سورة هود، الآية: ٦).

٤- ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(سورة هود، الآية: ٧).

٥- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(سورة هود، الآية: ١٣).

٦- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾(سورة هود، الآية: ٢٥).

٧- ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة هود، الآية: ٢٦).

٨- ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾(سورة هود، الآية: ٣٧).

٩- ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾(سورة هود، الآية: ٥٠).

١٠- ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(سورة هود، الآية: ٥٣).

١١- ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (سورة هود، الآية: ٦١).

١٢- ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾(سورة هود، الآية: ٨٤).

١٣- ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(سورة هود، الآية: ٨٨).

١٤- ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾(سورة هود، الآية: ١٠٥).

١٥- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (سورة هود، الآية: ١٠٦).

١٦- ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(سورة هود، الآية: ١٠٧).

١٧- ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(سورة هَود، الآية: ١٠٨).

المبحث الأوّل: ماهية التَّوحيد:

المطلب الأوّل: تعريف التَّوحيد لغةً واصطلاحاً.

التَّوحيد لغةً: التَّوحيد التَّفريد، يُقال: تَوَحَّد برأيِهِ، أَي تفرَّد. وحَّدَ يَوْحَدُ وحادةً ووَحْدةً وَوَحْداً، وتقول: بقيتُ وحيداً فريداً حَريداً بمعنى واحد (ابن منظور، د. ت خ: ٣/ ٤٤٦- ٤٤٩).

(إتَّحدَ إنفرد، والشيئان أو الأَشياء صارت شيئاً واحداً، توحد الله بربوبيته وجلالهِ وعظمتهِ تفرَّد بها، وفلان بقي مفرداً) (مصطفى، وآخرون، د.ت: ٢/ ١٠١٦).

التَّوحيد اصطلاحاً: أعطى العلماء للتَّوحيد تعريفات عِدّة منها:

قال الامام علي (عليه السلام): (واحد لا بعدد) (الصالح، د.ت، خطبة رقم ١٨٥: ١٦٩). إذ أثبت وحدانية الله تعالى ونفى أن تكون هذه الوحدة عددية.

وعرَّفه الأصبهاني بقولهِ: (هو إفراد الله بالعبادة مع الجزم بإنفراده في أسمائهِ وصفاتهِ وأفعاله وفي ذاتهِ، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله) (الأصبهاني، د.ت: ١/ ٣٠٥- ٣٠٦).

وعرَّفه محمد عبده بأَنَّهُ (إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأَكوان، وأَنَّه وحدهُ مرجع كل كون، ومنتهى كُل قصد) (عبده، ١٣٧٦هـ: ٤).

من خلال ما تقدَّم يتبيَّن أنَّ معنى التَّوحيد هو نفي الشِّرك عن الله تعالى، فهو الواحد الأحد، والتوحيد لهُ أهمية عظيمة، لأنَّهُ الأساس الذي تُبنى عليهِ أركان الإسلام، وإنَّ جميع الشرائع السماوية تقوم على التوحيد، فهو الأصل في تخطّي العقبات وإيجاد الحلول البنَّاءة.

المطلب الثاني: عظمة الخالق (عزّ وجلّ) وقدرته:

قال (ﷻ): ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة هود، الآية: ٧).

الآية الكريمة تُشير إلى عظمة الخالق (ﷻ) الذي خلق السَّموات والأَرض في أيامٍ معدودة، والأَدلة على وجوده لا تُحصى، وعددها كعدد مخلوقات الله تعالى، فكل مخلوق يحمل أدلة تدلنا على خالقهِ (الزنداني، د.ت: ٢٧).

والله تعالى يستدل بالكون المحسوس على وجوده ووحدانيتهِ في الآيات الكونية التي تُلفت نظر الإنسان (الرازي، ١٤٢٠هـ).

وقد ذكر تعالى أنه خلق السَّموات والأَرض في ستة أيام، ولم يُبيّن (ﷻ) أنَّ الأيام الستة كأَيام الدنيا أَم مغايرة لها.

يرى سيد قطب أنها من أيام الله تعالى التي لا يعلمها إلا هو وليست من أيام هذه الأرض؛ لأَنَّ أيام هذه الأرض إنما هي مقياس زمني مستحدث بعد ميلاد الأرض (سيد قطب، ١٩٧١: ٥/٩٥٤).

وذكر الشيرازي أنَّ المقصود من كلمة (اليوم) في الاية الكريمة هو الزمان سواء كان قصيراً أو مديداً جداً، أي أنَّ الخلق كان في ستة أزمنة متوالية ومتتابعة(الشيرازي، ٢٠٠٧: ٦/٢٣).

وأن ذكر خلق السَّموات والأَرض في ستة أيام، يبرهن على أنَّ القُرآنِ الكَرِيمْ يولي اهتماماً خاصاً لمسألة الخلق التدريجي للعالم، وهو بذاتهِ دليل آخر على عظمة الخالق (الشيرازي، ١٤٣١هـ: ٢/ ١٣٢).

ونحنُ المسلمون نؤمن بأن الله تعالى خلق السَّموات والأَرض في ستة أيام كما جاء في القُرآنِ الكَرِيمْ وذلك على مراد الله تعالى بدون الجزم بطول تلك الأيام وكيفيتها لأَنَّ ذلك لا يعلمهُ إلا الخالق (ﷻ) .

ومعنى قوله (ﷻ) ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (سورة هود، الآية: ٧).

(إنَّ العرش في جهة العلو، والماء تحتَهُ في جهة السفل، وليس معناه أنَّهُ ملاصق للماء محمول عليه، كما يقال السَّماء على الأرض، أي أنها فوقها دون ملاصقتها لها) (سيد سابق ، د.ت: ٥٤).

ويدل قولهُ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (سورة هود، الآية: ٧).

(أي ليختبركم أَيُكم أَحسنُ عملاً، ولم يقُل: أكثر عملاً، بل أحسن عملاً، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله (ﷻ) على شريعة رسول الله (6) فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل) (ابن كثير، د.ت: ٢٦٦/٤).

وبعد ذلك يتحدث (ﷻ) عن مسألة المعاد، فيقول (ﷻ): ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة هود، الآية: ٧).

(أي أنكم تنكَرون هذاَ الكلَام، وتحكمون بفساد القول بالبعث) (الحنبلي، د.ت: ٢٨٢٨/١).

ومعنى الإخبار عن القول بأنه سحرٌ أنهم يزعمون أنَّهُ كلام من قبيل الأقوال التي يقولها السَّحرة لخصائص تؤثر في النفوس، ووجه جعلهم هذا القول سحراً في معتقداتهم وخرافاتهم أنَّ من وسائل السَّحر الأقوال المستحيلة والتكاذيب البهتانية، والمعنى أنهم يُكذبون بالبعث كلما أخبروا به لا يترددون في عدم إمكان حصوله. و "مبين" أي بيّن واضح أنَّهُ سحراً أو أنَّهُ ساحر (ابن عاشور، ١٩٩٧: ١٢/ ٨).

انهم يُنكرون البعث والمعاد يوم القيامة الذي هو بالنسبة الى القدرة أهون من البداءة، كما قال تعالى:" ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(سورة هود، الآية: ٢٧)، فعلى الإنسان أنَّ يدرك بأن الله تعالى هو الذي خلقه ورزقه وسخّر لهَ ما في السَّموات والأَرض ثم يُميته ثم يبعثه إنَّ شاء الله ليوم الحساب.

المطلب الثالث: أَصل دعوة الأنبياء (:) توحيد الله (ﷻ):

يؤكد القُرآنُ الكَرِيم أنَّ الحالة الأولى للدين هي التوحيد، وإنَّ هذا التَّوحيد لم يكن باستنباط أو تأمل أو نتيجة للخوف من المجهول أو لسبب من الأسباب الاجتماعية أو النفسية، بل كان نتيجة مباشرة لمعرفة الإنسان الأوّل (آدم) بالله خالقه على نحو مباشر وبدون واسطة، ثم أعقب هذه الحالة التَّوحيدية حالة الشرك والوثنية واختلاف بين الناس في العقائد، عندها احتاجت البشرية للأنبياء، وأن كان القُرآنُ الكَرِيم لم يحدد مقدار الفترة الزمنية التي عاشت البشرية فيها على التَّوحيد الأوّل (شريف، ٢٠١٥: ٣٩).

وإن ما أرسلت به الرُّسل هو شهادة أنَّ لا إله إلا الله ومعناها نفي الإلوهية الحق عن غير الله تعالى وإثباتها لله وحده (الحمَوي، د.ت: ٩).

قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾(سورة هود، الآية: ٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(سورة هود، الآية: ٢٥-٢٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(سورة هود، الآية: ٥٠).

وقال (ﷻ): ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(سورة هود، الآية: ٦١).

وقال (ﷻ): ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(سورة هود، الآية: ٨٤).

يقول النسفي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾(سورة هود، الآية: ٢)، (إنَّ قوله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ مفعولٌ لهُ أي لئلا تَعبدوا، أو (أَنَّ) مَفسرة لأَنَّ، في تفصيل الآيات، معنى القول كأنهُ قيل: لا تعبدوا إلا الله، ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أي من الله) (النسفي، ٢٠٠٥: ٢/ ١٥٤).

وذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(سورة هود، الآية: ٢٥-٢٦)، إنَّ اللهَ تعالَى ذكر قصصَ الأنبياءَ (:) للنبي (6) تنبيهاً لَهُ عَلَى ملازمة الصبر على أذى الكفار إلى أنَّ يكفيه الله أمرهم، وقوله: (إِنِّي) لأَنَّ في الارسال معنى القول، وقوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي أتركوا الأصنام فلا تعبدوها وأطيعوا الله وحده(القرطبي، ١٩٦٤: ٩/ ٢٢).

وأنَّ نبي الله هود (عليه السلام) دعا قومه إلى توحيد الله تعالى، قال (ﷻ) : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(سورة هود، الآية: ٥٠).

وأشارَ الرازي في وصفَ قَوم عاد بأنهم كانوا مخصوصين في الدنيا بنوعين من الكمال، أحدهما: إنَّ بساتينهم ومزارعهم كانت في غاية البهجة، والدليل على ذلك، قوله (ﷻ): ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾(سورة الفجر، الآية: ٧-٨).

والثاني: أنهم كانوا في غاية القوة، ولذلك قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾(سورة فصلت، الآية: ١٥)، وكان القوم مفتخرين على سائر الخلق بهذين الأمرين (الرازي، ١٤٢٠هـ: ١٨/٩).

وعلى الرغم من هذه النعم العظيمة عبدوا الأَصنام فأَرسل الله تعالى لهم سيدنا هوداً (عليه السلام) الذي دعاهم إلى التَّوحيد وكان ردَّهم ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(سورة هود، الآية: ٥٣).

ومن الأنبياء الذين دعوا قومهم إلى عبادة الله تعالى نبي الله صالح (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(سورة هود، الآية: ٦١).

قال الطبريَ: (أي ارسَلنا الى ثمود أخاهَم صَالحاً قال يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له وأخلصوا له العبادة دونما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة ولا تجوز الإلوهية إلا له) (الطبري ، ١٤٠٥هـ: ١٢/ ٦٢).

ودعا نبي الله شعيب (عليه السلام) قومه إلى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(سورة هود، الآية: ٨٤).

وَأنَّ نبينا محمد (ﷺ) تَحمل الكثير في سبيل نشر دعوة التَّوحيد ومشى في سبيل الله رغم كُل ما اعترض طريقه، واثقاً موقنا إنَّ الله تعالى ناصره، وإنَّ رسالته ستمحو كُل شرك، وأنها الخاتمة المؤيدة من الله (سبحانه وتعالى)، قال (عز وجل): ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(سورة المجادلة، الآية: ٢١).

قال الشيرازي: (إنَّ تاريخ الأنبياء يُبيّن أنهم بدأوا دعوتهم جميعاً من التَّوحيد ونفي الشرك ونفي عبادة الأصنام أياً كانت، والواقع فإنَّ أي إصلاح في المجتمعات الإنسانية لا يتيسر بغير هذه الدعوة؛ لأَنَّ وحدة المجتمع والتعاون والإيثار كلها أمور تسترفد من نبع واحد وهو توحيد المعبود) (الشيرازي، ٢٠٠٧: ٦/٩٥).

المطلب الرابع: التَّوكل على الله (سبحانه وتعالى):

التَّوكل لغةً: وكل بالله (عز وجل) ويكل وكلاً واتَّكل عليهَ، أي استسلم إليهِ، وعلى فُلان في أمر: اعتمد ووثق بهِ، ووكلهُ أي: استكفاه أمرهُ ثقةً بهِ، وفوضهُ إليه(الفيروزآبادي، ١٩٨٧: ٤/٦٧) (مصطفى، وآخرون، د.ت: ٢/ ١٠٥٤).

وفي الإصطلاح عُرِّفَ تعريفات عدة منها: (التّوكُل: هو الثقة بما عند الله واليأس عمَّا في أيدي الناس) (الأنباري، ١٤٠٥هـ: ٣٩).

وعُرّف بأنّهُ: (تفويض الأمر إلى الله، والتَّعلق بالله في كُل حال، وقطع كُل علاقة بغير الله، والاعتماد على الله في حصول المطلوب وزوال المكروب مع الأخذ بالأسباب) (أيوب الزرعي، ١٩٩٦: ٢/ ١١٤).

فالتوكُل هو الاعتماد على الله (عز وجل) مقروناً بالثقة به والسكون إليه، والتوكل على الله هو سفينة النجاة، وملاذ الإنسان في كل حال، فإذا كان الإنسان مطمئناً بموعود الله تعالى استغنى بالله تعالى عن غيره، والتوكل يغرس الإيمان في قلوب عباد الله المؤمنين، ويجعلهم على يقين

بنصرهِ وتمكينه لهم، والتّوكُل خُلق إيماني لجأ إليه الأنبياء والرُّسل والمؤمنون، قال تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(سورة هود، الآية: ٨٨).

أشار الشوكاني بأنَّ معنى الآية الكريمة أي أخبروني أنْ كنتُ على حجة واضحة فيما أَمرتكم به ونهيتكم عنهُ، ورزقني من فضلهِ وخزائن ملكهِ رزقاً واسعاً حلالاً طيباً، وما أُريد بنهيي لكم عن التطفيف والبخس أَنْ أُخالفكم إلى ما نهيتكم عنه فأفعله دونكم، وما أُريد بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ما بلغت إليه إستطاعتي، وما صرتُ هادياً نبياً مرشداً إلا بتأييد الله (سبحانه وتعالى) وإقداري عليه ومنحي إياه، عليه توكلت في أموري جميعها، وإليه أرجع في كل ما نابني من الأمور(الشوكاني، ١٩٩٤: ٢/ ٥١٩).

(والتوكل على الله في الإسلام هو زاد روحي للتغلب على القلق والخوف، وهو الذي يُعطي المؤمن بسمة أمام أحلك الساعات التي تمر به، ويهبه سكينة النفس التي حُرم منها كثير من سكان هذه الأرض) (طبارة، ١٩٨٨: ١٩٧).

وقد يُظن أنَّ معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب، وهذا ظن الجُّهال، إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه (الغزالي، د.ت: ٤/ ٢٦٥).

والمخلوقات من دواب وطيور وغيرها تسعى إلى كسب رزقها ولم تتكاسل، فإذا ألقى المرء نظره على مخلوقات الله تعالى لتأكد عندهُ هذا الأمر، فالله تعالى هو الرازق إلا أنَّ الرزق مشروط بالعمل والسعي.

(وإن علم المخلوقات جميعها عند الله ولا ينسى واحداً منها من رزقه وتدبيره، سواء كان في البر أو في البحر أو في الجو) (الزحيلي، ١٤١٨هـ: ٧/ ١٩٢).

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(سورة هود، الآية: ٦).

والمعنى وما من حيوان يدب على الأرض، إلا على الله تعالى غذاؤه ومعاشه، وقدَّم (سبحانه وتعالى) الجار والمجرور على الله، لإفادة القصر، أي على الله وحده لا على غيره رزقها ومعاشها، وهذا لا يُنافي الأخذ بالأسباب؛ لأنَّهُ (سبحانه وتعالى) وإن كان قد تكفل بأرزاق خلقهِ إلاّ أنَّهُ أمرهم بالاجتهاد من أجل الحصول على ما يُغنيهم ويسد حاجتهم، والمستقر والمستودع: اسم مكان لمحل الاستقرار والإيداع للدابة في هذا الكون (طنطاوي، ١٩٩٨: ٧/ ١٦٢).

من خلال ما تقدم يبدو لي أنَّ التّوكل عمل مع هدوء قلب وطمأنينة نفس واعتقاد تام بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وإن الله تعالى لا يُضيع أجر المحسنين، فلا يخفى أثر التوكل التربوي في النفس، والمسلم ينبغي أنْ يؤمن بسنن الله تعالى في الكون فيُعد للأعمال أسبابها المطلوبة ويجتهد في عملها، ولا يعتقد أبداً أنَّ الأسباب وحدها كفيلة بتحقيق الأغراض.

المبحث الثاني: الثبوت وأدلته

المطلب الأوّل: إعجاز القُرآنِ والتَّحدي:

الإعجاز لغةً: مصدر على وزن افعال، وهو من العَجْز: نحو عجزَ من الأَمر يعجزُ وعَجِزَ عَجْزًا، والعَجْزُ: الضعف، وأَعْجَزَهُ الشّيء: عجزَ عنهُ، ومعنى الإعجاز: الفوت والسبق، يُقال: أَعجزني فلان أي فَاتَني، والمُعجزة: واحدة من معجزات الأنبياء (:)(ابن منظور، د.ت: ٥/٣٧٠-٣٧٣).

والإعجاز في الاصطلاح لهُ عدة تعريفات منها:

- (أنَّ يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداهُ من الطرق) (الجرجاني، ١٤٠٥هـ: ٤٧/١).
- (أَمرْ خارق للعادة لم يستطع أحد معارضتهُ برغم تصدي الناس لهُ) (الحمصي، ١٩٩٨: ٩).
- (إظهار صدق النبي (ﷺ) في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضتهِ في معجزتهِ الخالدة وهي القرآن، وعجز الأجيال بعدهم) (القطان، ٢٠٠٠: ١/ ٢٦٥).

والقُرآن الكَرِيم هو أَصل كُل العلوم الشرعية والمعارف الإسلامية، وهو المُعين الذي استيقت منه الآراء والمبادئ، وهو يحمل كلمات الله الأخيرة لهداية البشرية، محفوظاً من كُل تحريف وتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(سورة الحجر، الآية: ٩)، وهو يوضح الحقائق، ويكشف الغوامضَ، ويدحض الأبَاطيل، ويَدفع الشُبهات ويهدي الحائرين، ويزيد الذين اهتدوا هدى (القرضاوي، ٢٠٠٦: ١٠- ١٢).

وقد بدأت سورة هود بحروف مقطعة، يقول (ﷻ) : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(سورة هود، الآية: ١)، وإنَّ هذه الحروف ذكرهاَ الله تعالَى في أوائل بعضَ السور، وكأَنهُ يقول: إنَّ القُرآنِ الكَرِيمْ يتركب من هذه الحروف، فهل تستطيعون أنَّ تأتوا بمثلهِ؟ ولن تستطيعوا أنَّ تأتوا بمثلهِ، فآمنوا بهِ، فإنكم لن تأتوا بمثلهِ أبدا(سيد قطب، ١٩٧١: ١٦٥).

والإعجاز صفة من صفات القُرآنِ الكَرِيمْ، وخصيصة من خصائصه التي لا تنفك عنهُ، والقُرآنِ الكَرِيمْ لم يتطرق إلى قضية الإعجاز إلا بعد أنَّ وقف الكفار ضده، واتهموا الرسول بأَنه افتراه، فتحداهم بالصورة المتسلسلة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(سورة الطور، الآية: ٣٤)، إذ تحداهم أنَّ يأتوا بمثلِهِ ، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(سورة هود، الآية: ١٣)، إذ تحداهَم أَنَّ يأْتوا بَعشر سوَرٍ مثلِهِ، وقوله تعالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(سورة يونس، الآية: ٣٨)، إذ تحداهم فيها أَنْ يأْتوا بسورة واحدة من مَثلِهِ، ومعَ هذا عجزوَا عن المعارضة وهم فرسان البيان ورجال البلاغة والفصاحة (زيدان، ٢٠٠٠ : ١٥٤).

ولو أنَّ العرب الذين استمعوا القُرآنِ الكَرِيمْ وجدوا فيه حرفاً واحداً من غير العربية، لكان لهم حُجة في الطعن فيه، ولقالوا: إنَّ محمداً يخاطبنا بغير حروفنا، أَو بغير ما نعرف من كلام، ولكنهم افتقدوا هذه الحجة فلم يجدوا أمامهم إلا أنَّ يزعموا أنَّ القرآن سحرٌ أو شعرٌ وأساطير أولين (جمال، ١٩٨٧: ٢٥٢- ٢٥٦).

وليس التحدي بالإتيان بمثل هذا القُرآنِ الكَرِيمْ لقريش أو العرب فقط بل للإنس والجن، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الإسرَاء، الآية: ٨٨).

وأَشار سيد قطب في كلامهِ عن القُرآنِ الكَرِيمْ:

تفتح لهُ نفسك، ويبدو لك في كُل مرة جديداً كأنك تتلقاه اللحظة ولم تقرأه أو تسمعه من قبل (سيد قطب، ١٩٧١: ٣٠٣٩/٤) .

فالقُرآن الكَرِيم نعمة كُبرى، وهو كتاب شامل، كُل ما فيهِ معجزة، عجز الانس والجن عن الاتيان بمثلِهِ؛ لأَنَّ كلام الله تعالى لا يشبه كلام المخلوقين، فلا بُدَّ أنْ يتوجه الإنسان لله (ﷻ) الواحد الأحد ويستشعر عظمة القُرآنِ الكَرِيمْ بقلبٍ طائع ليجعله الله تعالى مع الموحدين.

المطلب الثاني: حكمة الله تعالى وإحاطته بتدبير الوجود:

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(سورة هود، الآية: ١)، (إنَّ حكمة الله تعالى التي هيَ إحدى فروع علمه، تدل على أنَّ الوجودَ بكل أبعاده قائم على أساس نظام وحساب دقيق وقوانين موزونة ومُنسجمة، وإنَّ أَفعال الله تعالى بكُل أَبعادها مقرونة بالحكمة) (الشيرازي، ١٤٣١هـ: ١٠٢/٤) .

وقولهُ: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ، (أي تولّى تفصيلها حكيم خبير، حكيم في تدبيره وتصرفهُ، حكيم في شرعه وَتربيته وحكَمُهُ وَقَضائه، خبير بأحوال عباده وشؤون خلقه) (الجزائري، ٢٠٠٣: ٢/ ٥٢٠).

والحكمة لغةً: (عبارة عن معرفة أفضل الأَشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويُتقنها: حكيم، والحكيم يجوز أنَّ يكون بمعنى الحاكم) (ابن منظور، د.ت: ١٤٠/١٢).

أَمَّا الخبير في اللغة: (من اسماء الله (ﷻ) العالم بما كان وبما يكون) (الزبيدي ، د.ت: ١١/ ١٣٣).

(والخُبْر: أَي العِلم بالشّيء، تقول: لي بفلان خِبرَةٌ وخُبْرٌ، والله تعالى الخبير أي العالِم بكل شيء) (ابن زكريا، ١٩٧٩: ٢/ ٢٣٩).

وذكر ابن عطية في تفسيره: أُحكمت أَي أُتقنَتْ وأُجيدت، نسبةً إلى الأُمور المتقنة الكاملة، وبهذهِ الصفة كان القُرآنِ الكَرِيمْ في الأزل ثم فُصِّلَ بتقطيعه وتنويع أحكامه وأَوامره على محمد (ﷺ) في أَزمنة مختلفة، وهذه طريقة الإحكام والتَّفصيل، إذ الأحكام صفة ذاتية، والتفصيل إنما هو بحسب من يُفصَّل لهُ، والكتاب بأَجمعهُ مُحكم مفصَّل، و(حكيم) أَي مُحكم، و(خبير) أَي ذو خبرة بالأُمور أَجمع (المحاربي، ١٤٢٢هـ: ٣/ ١٦٥).

(على أَي حال فإِنَّ حكمة الله تعالى ما هي إلا علمه وإِحاطته بتدبير الوجود، وإن إيمان الإنسان بهذه الصفة الإلهية يزيد من صبره ومقاومته في مواجهة المصائب؛ ذلك لأَنَّهُ يدرك وجود حكمة مُعيَّنة وهذا الإحساس يُعينهُ في التغلب على المشكلات، لأَننا نعلم أنَّ الشرط الأوّل للتغلب على المشاكل هو التمتع بالمعنوية العالية التي لا تتحقق إلا في ظل معرفة حكمة الله تعالى (الشيرازي، ١٤٣١هـ: ١٠٥/٤).

والله تعالى هو الحكم بين العباد في الدنيا والآخرة وفي جميع القضايا، وليس ذلك لأحد غير الله تعالى، يقول (ﷻ): ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(سورة القصص، الآية: ٧).

المطلب الثالث: إرادة الله تعالى ومشيئتهِ:

إنَّ التَّوحيد علَّمنا إنَّ الكون كله لله تبارك وتعالى، ولا يخرج شيء عن علمه حتى أعمالنا، رغم أنها متروكة لاختيارنا وحُرية ارادتنا، والإنسان حُر وصاحب ارادة واختيار، وإنَّ الله تبارك وتعالى حاكم ومشرف على أَعماله (الشيرازي، ٢٠٠٩ :٨٦– ٨٧).

وقد أشار الراغب في المفردات: بأَنَّهُ يعتقد أكثر المتكلمين أنَّ المشيئة تعني الإرادة تماماً، واعتقد البعض منهم أنَّ المشيئة تعني إيجاد الشيء والوصول إليه، ولو أنها حلَّت محل

الارادة في الاستعمالات المتعارفة، وعلى هذا تكون المشيئة بالنسبة إلى الله تعالى بمعنى الإيجاد وبالنسبة إلى الناس بمعنى الوصول إلى شيء معين (الراغب الأصفهاني، د.ت: ٢٧١).

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (سورة هود، الآية: ١٠٥-١٠٨).

أشار الرازي بأن هذه الآيات تحكم من الآن أنَّ جماعة في القيامة سعداء وجماعة أشقياء، ومن حكم الله عليه مثل هذا الحُكم ويعلم أنَّهُ في القيامة أما شقي أو سعيد فمُحال عليه أنْ يُغير ذلك، وإلاّ للزم في الآية، أَنْ يكون ما أخبرَ الله بهِ كذباً ويكون علمه جهلاً وهذا مُحال(الرازي، ١٤٢٠هـ: ١٨/٥٠).

وقد ردَّ الشيرازي على ما جاء بهِ الرّازي بقولهِ: (إنَّ هذه الأيات تقول: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يكون فيه جمعٌ من الناس سعداء من خلال أعمالهم، وجمع آخر أشقياء بسبب أَعمالهم، واللهَ سبحانه يعلم منْ الذي أختار طريق السّعادة بإختياره، أو بإرادته، ومن الذي خطا خطوات في مسير الشقاء بإرادته، وهذا المعنى يُعطي نتيجة معاكسة تماماً لما ذَكرَ الرّازي، إذ إنَّ الناس إذا كانوا مجبورين على هذا الطريق فإنَّ علم الله سيكون جهلاً (والعياذ بالله)؛ لأَنَّ الجميع أختاروا طريقهم وانتخبوا بإرادتهم ورغبتهم) (الشيرازي، ٢٠٠٧ : ٦/١٦٨-١٦٩) .

فالإنسان حُر الإرادة، مُخيَّر، فهو بعد أَنْ يدرس النواحي المختلفة لموضوعٍ ما في ضوء العقل، يختار فعلهُ أو تركه (السبحاني، ١٩٩٨: ٢٩).

ونحن إذ نتمكن من أداء عمل إنّما ذلك بالقدرة التي منحنا إياها، أَي أنَّهُ (ﷻ) أَراد أَنْ نكون أحراراً، ورغم أننا نملك الحرية والاختيار إلا أننا في قبضتهِ المقدرة وتحت رحمته ولا يمكن أنَّ نخرج عن حُكمهِ (الشيرازي، ٢٠٠٩ : ٨٨).

وإنَّ شعور الإنسان المؤمن بأَنَّهُ مرتبط بالله (ﷻ) لهُ أَثراً تربوياً عميقاً، إذ يجعله يشعر دائماً بالفقر إلى الله فلا يُصيبهُ الغرور والأنانية، وإنَّ هذا الأمر يزيدهُ قوة في مواجهة مصاعب الحياة، ويبعد عنهُ اليأس، لأَنَّهُ يعلم بأَنَّ إرادة الله (ﷻ) ومشيئته أَقوى من أَي شيء.

المطلب الرابع: الله تعالى البصير (ﷻ) :

قال الراغب في مفرداته: البَصَر يُقال للجارحة الناظرة، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾(سورة النحل، الآية: ٧٧)، و ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾(سورة الأحزاب، الآية: ١٠)، وللقوة التي

فيها، ويُقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبَصَر، نحو قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(سورة ق، الآية: ٢٢)، وقال: ﴿ما زاغَ الْبصر وما طَغَى﴾(سورة النجم، الآية:١٧)، وجمع البَصَرَ أبصار، وجمع البصيرة: بصائر(الراغب الأصفهاني، د.ت: ٢٧/١).

والبَصير مبالغة من المُبْصر وهو الذي لا يفوت بصرهُ شيء، يعلم ويرى دبيب النملة السّوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصّماء، بل ويرى من هذهِ النملة العروق وما يجري فيها من طعام (الحراني، ١٤١٢هـ: ١٢/ ١٦٢).

والله تعالى أَثبتَ لنفسهِ أَوصاف العظمة والكمال التي إنفردَ بها دونَ غيره، ونفى عن نفسهِ أَوصاف النقص ليثبت إنفرادهُ وتوحيده (الرضواني، ٢٠٠٤: ٥/ ١١٢).

فهو (ﷻ) موصوف بصفات الكمال وليس له شبيه، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير فليس سمعهُ وبصره كسمع الرَّب وبصره، ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيه، إذ إنَّ صفات المخلوق كما يليق بهِ وصفات الخالق كما يليق بهِ(الحنفي، ١٣٩١هـ: ١/ ١٤٣).

ومن ظن أنَّ صفات الله تعالى تشبه شيئاً من صفات المخلوقين فهذا ضال جاهل، ومن آمن بأَن الله تعالى مُنزهاً عن مشابهة صفات الخلق فهو مؤمن سالم من ورطة التشبيه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى، الآية: ١١).

ويدل قَولَهَ تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(سورة هود، الآية: ٣٧)، و ﴿واصنعِ الْفُلْكَ﴾ يعني السَفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أَيَ بمرأىَ منا، و﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي تعليمنا لك ما تصنعهُ (ابن كثير، د.ت: ٤٣٤/٧).

إنَّ وصف الله تعالى بـ(السميع) و (البصير) لهُ أَثر تربوي مهم، إذ أنَّ فيه تحذير للناس بأَن يراقبوا أقوالهم وأفعالهم؛ لأَنَّ الله (ﷻ) يرى ويسمع كُل شيء، وهذا الأَمر يُنمي الوعي لدى المسلمين ويدعوهم إلى التَّخلُق بالأَخلاق الكريمة، ويُشعرهم بالعناية الإلهية، وبأَنَّ الله تعالى يرعاهم في جميع أَحوالهم.

الخاتمة والنتائج:

فيما يأتي النتائج التي توصلتُ إليها:

١- إثبات أنَّ الله تعالى له القدرة المطلقة وهو وحدهُ المستحق للعبادة والمتفرد بالإلوهية.

٢- إنَّ الغاية من إرسال الرُّسل وتنزيل الكتب هداية الناس وتغيير ما فسد من عقائدهم.
٣- إثبات الوحدانية لله تعالى من خلال القدرة والابداع المُتقن في الخلق ومنها خلق السَّموات والأَرض.
٤- الأصل في خلق السَّموات والأَرض هو ما جاء في كتاب الله تعالى إنَّهُ استمر ستة أيام بمفهومها وتقديرها الخاص.
٥- إنَّ قضية الإحياء والإماتة والمعاد يستحيل نكرانها لإثبات وحدانية الله تعالى.
٦- التوكل على الله تعالى في كُل حال، فمن توكل على الله تعالى كفاه، فالتوكُل راحة للنفس وسلامة للقلب.
٧- القُرآنُ الكَرِيمُ منهج مُعجز واضح ببلاغة نظمهِ وعلو معانيه، عجز الإنس والجن عن الاتيان بمثلهِ.
٨- إثبات الصفات العليا لله تعالى ومنها الحكمة التي تدل على كمال الوحدانية لله (ﷻ).
٩- إنَّ الإنسان في أعماله وتصرفاته الاختيارية كلها إنما يتحرك ضمن دائرة الارادة الإلهية، وليس هناك تعارض بين كون الإنسان مُختاراً مُريداً في أفعالهِ وتصرفاته وبين كونه لا يتخطى الارادة الإلهية.
١٠- الله تعالى البصير الذي لا تخفى عليهِ خافية وهو مُطَّلع على أعمال الخلق ظاهرها وباطنها وسيُجازيهم عليها.

المصادر والمراجع:

- **القُرآنِ الكَرِيمْ.**

١- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (١٩٧٩): معجم مقاييس اللغة، المحقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر.
٢- ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (١٩٩٧): التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت): لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف.

٤- الأصبهاني، أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (ت ٥٣٥هـ) (د.ت): الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق، محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الحرية.

٥- الجرجاني، علي بن محمد (١٤٠٥هـ): التعريفات: تحقيق، إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي للنشر، ط١، بيروت- لبنان.

٦- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر (٢٠٠٣): أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم للنشر، المدينة المنورة، ط٥، المملكة العربية السعودية.

٧- جمال، أحمد محمد (١٩٨٧): القرآن كتابٌ أُحكمت آياته: مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

٨- الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (١٤١٢هـ): شرح العقيدة الواسطية، تحقيق، محمد بن عبد العزيز ، الرئاسة العامة للإدارات والبحوث والافتاء، ط٢، الرياض.

٩- الحمصي، نعيم (١٩٩٨): فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحالي: مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت- لبنان.

١٠- الحمَوي، أبو عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي (د.ت): التوضيح الرشيد في شرح التوحيد.

١١- الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي (ت بعد سنة ٨٨٠هـ)، (د.ت): تفسير اللباب، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢- الحنفي، ابن أبي العز (ت ٧٩٢هـ)، (١٣٩١هـ): شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، ط٤، بيروت- لبنان.

١٣- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ)، (١٤٢٠هـ) مفاتيح الغيب، الناشر، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت- لبنان.

١٤- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن علي بن محمد المعروف (د.ت): المفردات في غريب القرآن، تحقيق، محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٥- الرضواني، محمود عبد الرزاق (٢٠٠٤): أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، ط١، مكتبة دار الرضوان.

١٦- الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى الحُسيني الواسطي (ت١٢٠٥هـ)، (د.ت): تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر.

١٧- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى (١٤١٨هـ): التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق.

١٨- الزرعي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب (١٩٩٦): مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت- لبنان.

١٩- الزنداني، عبد المجيد (د.ت): توحيد الخالق، منشورات مكتبة المثنى، بغداد.

٢٠- زيدان، د. عبد الكريم (٢٠٠٠): الوجيز في أُصول الفقه، دار إحسان للنشر والتوزيع، ط٥، طهران- إيران.

٢١- السبحاني، جعفر (١٩٩٨): العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (:)، مؤسسة الصادق (عليه السلام)، ط١، قم- إيران.

٢٢- سيد سابق (ت ١٤٢٠هـ)، (د.ت): العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

٢٣- سيد قطب (١٩٧١): في ظلال القرآن، دار احياء التراث العربي، ط٧، بيروت.

٢٤- شريف، د. عمرو (٢٠١٥): الوجود رسالة توحيد ، للنشر والتوزيع، ط١، نيوبوك.

٢٥- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٩٩٤): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، تعليق: عبد الرزاق غالب المهداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان.

٢٦- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (٢٠٠٧): الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١،بيروت- لبنان.

٢٧- الشيرازي، ناصر مكارم (١٤٣١هـ): نفحات القرآن، دار النشر الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط٢.

٢٨- الشيرازي، ناصر مكارم (٢٠٠٩): أصول عقائد الشباب، ط١، دار كُميل.

٢٩- الصالح، د. صبحي (د.ت) : نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، منشورات دار الهجرة، إيران- قم.

٣٠- طبارة، عفيف عبد الفتاح (١٩٨٨): روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين ، ط٢٧، بيروت.

٣١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت٣١٠هـ)، (١٤٠٥هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر- بيروت- لبنان.

٣٢- طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٨): التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، القاهرة.

٣٣- عبده، الشيخ محمد (١٣٧٦هـ): رسالة التوحيد ، دار المنار، ط١٧، مصر.

٣٤- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (د.ت)، إحياء علوم الدين، دار المعارف.

٣٥- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، (١٩٨٧): القاموس المحيط، تحقيق، مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للنشر، ط٢.

٣٦- القرشي، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، (د.ت): تفسير ابن كثير، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، الناشر، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

٣٧- القرضاوي، د. يوسف (٢٠٠٦): كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، القاهرة، ط٥، مصر.

٣٨- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت٦٧١هـ)، (١٩٦٤): الجامع لأحكام القرآن: تحقيق، احمد البردوني، وابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة.

٣٩- القطان، مناع خليل (٢٠٠٠): مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣.

٤٠- المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، (١٤٢٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان.

٤١- مصطفى، إبراهيم ، وآخرون، (د.ت) المعجم الوسيط تأليف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٤٢- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (٢٠٠٥): تفسير النسفي، تحقيق، مروان محمد الشعار، دار النفائس للنشر، بيروت.